زيد بن حارثة (ﷺ)

(دراسة تاريخية في سيرته)

*م.د.عمر أَمجد صالح

تأريخ التقديم: 2012/12/2		تأريخ القبول: 2/ 1/ 2013

المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل البيانات والهدى ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط الله العزيز الحميد والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ﷺ) وبعد.....

إن التأمل بعمق في سيرة وحياة كثير من الصحابة الإجلاء له انعكاسه الايجابي الكبير في رسم صورة معالم الشخصية الإسلامية القدوة في أذهان المسلمين جميعاً، والتي استقت نموذجها الأساس من شخصية النبي (ﷺ) فهذا زيد بن حارثة تلميذ مدرسة النبوة، نطق باسمه القرآن الكريم ونزلت في حقه أكثر من آية عالجت أخطر قضية اجتماعية طالما كان يعانيها المجتمع البشري حينذاك (التبني) فهذا العبد المملوك الذي زوجه النبي (ﷺ) من ابنة عمته الحسيبة النسيبة زينب بنت جحش الأسدية، ليعلن بهذا الزواج عن زوال الفوارق الطبقية الموروثة ويُحَجم الأنفة والكبرياء بقوة الإيمان بهذا الزواج، حامل لواء الرسول (ﷺ) في مؤتة وشهيد من شهداء العقيدة الخالدين .

الأمر الذي دفع الباحث للولوج في تاريخ وسيرة هذا الصحابي وعرضها بالشكل الذي يصب في مصلحة الجانب الأكاديمي والبحث العلمي الرصين في تاريخ الصحابة، فأنتظم البحث في مبحثين رئيسين تضمن الأول منها الحديث عن

* قسم التاريخ / كلية التربية/ جامعة الموصل.

أسم ونسب زيد بن حارثة ونشأته وحياته قبل الإسلام ، والوقوف عند حادثة تبني النبي (ﷺ) ودخوله في الإسلام ثم التطرق لمسألة زواجه من زينب بنت جحش مستعرضين التفاصيل والأحداث التي تناولت هذا الحدث الجلل والذي من خلاله نزلت آيات القرآن الكريم تذكر اسم زيد صريحاً وواضحاً.

أما المبحث الثاني فقد خصص للحديث عن المواقف الكبيرة والكثيرة التي عاشها زيد ابن حارثة مع مولاه ونبيه وسيده محمد (ﷺ)، ثم الحديث عن جهاد زيد واستبساله في إعلاء كلمة لا إله إلا الله، ومصداقاً لما رآه النبي (ﷺ) في شخص زيد من قدرة كبيرة في القيادة وحكمة في قيادة جيوش المسلمين في معركة مؤتة واستشهاده، وأخيراً التطرق إلى حجم العلاقة العظيمة والخاصة بين النبي (ﷺ) وبينه كونه الحبيب والصاحب والأخ والمولى مستعرضين كل ذلك من خلال ما ورد في فضل هذا الصحابي الجليل في القرآن الكريم والحديث الشريف.

وقد استوفيت المادة العلمية لموضوع البحث من خلال مصادر عديدة ومتنوعة ومختلفة فهي ما بين كتب تفسير القرآن الكريم وكتب الحديث التي تناقلت أقوال وأفعال النبي (ﷺ) وكتب السيرة النبوية والمغازي وكتب التاريخ العام وكتب تراجم الرجال، كلها تناولت موضوع الدراسة من جوانب عدة تفاوتت في غزارة مادتها وتنوعت في منهجية وطريقة صياغتها.

ويقف في مقدمة هذه المصادر التي تم الاعتماد عليها ((القرآن الكريم)) كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كونه المصدر الأول والأساس في موضوع البحث وما نزلت به آياته العديدة بحق هذا الصحابي الجليل.

وتأتي كتب التفسير (تفسير القرآن الكريم) لتمثل المصادر الرئيسة الثانية، التي اعتمد عليها البحث فيما قدمته من فائدة عظيمة وقيمة في تفسير آيات القرآن الكريم والتي نزلت بحق هذا الصحابي وقصة تبني النبي ﷺ له وكذلك قصة زواج النبي الكريم من زينب زوجة ابنه بالتبني، ومن أهم كتب التفسير التي تم الاعتماد

عليها في البحث كتاب (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (310هـ- 922م) وكتاب (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبدالله محمد القرطبي (671هـ- 1272م) وكذلك كتاب (تفسير القرآن العظيم) لعماد الدين إسماعيل ابن كثير (774هـ- 1372م) وغيرها من كتب التفسير.

وتعد كتب الحديث ذات أهمية بالغة لما أوردته من روايات تتحدث عن سيرة وفضل هذا الصحابي وجهاده وحب النبي (ﷺ) له وبشكل خاص كتاب (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل البخاري (356هـ- 869م)، وكتاب (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج القشيري (261هـ- 874م) وغيرها من كتب الصحاح.

ثم تأتي كتب السيرة والمغازي لتمثل أحد الأعمدة المهمة التي اعتمد عليها البحث بما أوردته الروايات التاريخية للمؤرخين حول سيرة وحياة وصحبة زيد بن حارثة للنبي (ﷺ) ويقف على رأسها كتاب (السيرة النبوية) لابن محمد بن هشام (218هـ- 832م) كذلك كتاب(دلائل النبوة) للحسين بن علي البيهقي (458هـ- 1065م) وكتاب (الروض الأنف) لأبي القاسم عبدالله بن احمد السهيلي (580هـ- 1185م) وكتاب (الاكتفاء من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء) لسليمان بن موسى الكلاعي (634هـ- 1236م).

ثم تأتي كتب التاريخ العام لتشكل رافداً مهماً اعتمد عليه البحث، مثل كتاب(الطبقات الكبرى) لمحمد بن منيع بن سعد (230هـ- 897م) وكذلك كتاب (تاريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري (310هـ- 922م) كتاب(البداية و والنهاية) لعماد الدين أبي الفداء ابن كثير (774هـ- 1372م) وغيرها من المصادر التاريخية العامة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه تمت الإفادة فائدة كبيرة من كتب التراجم التي تعرضت لاسم ونسب وسيرة حياة الصحابي الجليل زيد بن حارثة ككتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

(852هـ– 1448م) وكتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لأبن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (463هـ– 1232م) .

وأخيراً فقد اجتهدت ما في وسعي وحسبي أنَّني قصرت في التمست والكمال لله وحده وما توفيقي إلا بالله.

المبحث الأول

1– اسمه ونسبه:

هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبدالعزى بن امرئ القيس ابن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة[1].

وأمه سعدى بنت ثعلبة بن عبد بن عامر بن بني معن بن عنود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عديب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[2].

---

(1) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1411هـ، ط1، ج2، ص87؛ أبو عمر عمرو خليفة بن خياط العصفري: الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء المعمري، دار طيبة، الرياض، 1402هـ– 1982م، ط2، ج1، ص6؛ يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ط1، ج2، ص542؛ عزالدين بن الأَثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل احمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ– 1996م، ج2، ص335؛ احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ– 1992م، ط1، ج2، ص598– 599.

(2) أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج3، ص40؛ ابن خياط: الطبقات، ج1، ص6؛ ابن الأَثير : أسد الغابة، ج2، ص335؛ أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعي السهلي: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، طبع دار الكتب الحديثة، القاهرة، (د. ت)، ج1، ص428.

وولد زيد في كنف أمه وأبيه وقد وصف الرواة والمؤرخون مظهره وشكله فقالوا: ((أنه قصير آدم– أي أسمر– شديد الأدمة، في أنفه فطس))[1]، وفي رواية أخرى قيل أنه شديد البياض[2].

2- نشأته وحياته قبل الإسلام :

كان زيد بن الحارثة (رضي الله عنه) طفلاً صغيراً عندما حملته أمه سعدى بنت ثعلبة إلى أهلها لزيارتهم، فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على بني معن فاحتملوا زيداً معهم فأصابه السبي وهو يافع ابن ثمان سنين فأتوا به إلى سوق عكاظ[3]، فعرضوه للبيع وكان حكيم ابن حزام بن خويلد[4] في سوق عكاظ يتسوق وكانت عمته خديجة بنت خويلد قد أوصته أن يشتري لها غلاماً عربياً ظريفاً إن وجده[5]؛ فلما قدم حكيم السوق وجد زيداً يباع فيها فأعجبه ظرفه وأدبه فابتاعه (اشتراه) لخديجة بأربعمائة درهم[6] وقدم به وقال لها: ((إني ابتعت الغلام الذي

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص44؛ أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي: سير أَعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ، ط9، ج1، ص222.

(2) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: صفوة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي، بيروت، 1399هـ– 1979م، ط2، ج1، ص381؛ ابن الأَثير : أسد الغابة، ج2، ص338؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص222.

(3) ابن سعد: الطبقات، ج1، ص497؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص543؛ السهيلي: الروض الأنف، ج1، ص428؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص598.

(4) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزيز بن قصي القرشي الاسدي ويكنى أبا خالد وهو ابن أخ خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ ولد في مكة وترعرع فيها. ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج1، ص362؛ ابن الأَثير : أسد الغابة، ج2، ص58؛ ابن حجر: الإصابة ، ج3، ص432 .

(5) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج2، ص543؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص378.

(6) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1، ص497؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج2، ص543؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص598.

أوصيتني به، فإن أعجبك خذيه !! وإلا فدعيه لي فإنه أعجبني)) فلما رأته خديجة أعجبها وأخذته ثم تزوجها الرسول (ﷺ) وزيد عندها فأعجب الرسول (ﷺ) بظرفه وأدبه، فاستوهبها إياه فوهبته له[1].

وهناك رواية أخرى تشير إلى أن زيد بن الحارثة كان غلاماً ذا فطنة قد أوقفه قومه بالبطحاء، للبيع فأبصره الرسول (ﷺ) فأتى خديجة فقالت : ((كم ثمنه قال: سبع مئة قالت: خذ سبع مئة فاشتراه وجاء به إليها فقال: أما إنه لو كان لي لأعتقته قالت: فهو لك)) [2]، ونشأ زيد بن الحارثة وشب عند النبي (ﷺ) وفي أحضانه يقوم على خدمته ويذهب في حاجته إلى الأسواق فأحبه النبي (ﷺ) حباً جماً واعتقه[3].

3- تبني النبي (ﷺ) لزيد وإسلامه:

تبنى النبي (ﷺ) زيد وألحقه بنفسه حتى أصبح الناس يدعون زيد بن حارث بزيد بن محمد وذلك قبل البعثة النبوية[4]. وروي أن أبا زيد الحارثة بن شراحيل كان قد افتقد ابنه زيد وجزع عليه جزعاً شديداً وحزن وبكى عليه حين فقده، وحمل عصاه

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص87؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1، ص497؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص543؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص335.

(2) ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص336؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص223؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، 1407هـ- 1987م، ط1، ج2، ص494.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص87؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص220.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص87-88؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص224.

على كاهله، ومضى يجوب الديار ويقطع الصحاري ويسأل القبائل والقوافل عن ولده وراح ينشد أبيات من الشعر معبراً بها عن حزنه على ولده فقال:

بكيت على زيد ولم ادر ما فـــــعل — احي فيرجى ام أتى دونه الأجــــل
فوالله ما أدري وأني لســـــــائل — أنما لك بعدي السهل أم غالك الجبل
وياليت شعري هل لك الدهـــر أوبة — فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلـــــوعها — وتعرض ذكراه إذا غربهـــا أفــل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكــــره — فيا طول ماحزني عليـــه وما وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهداً — ولا أسأم التطواف أو تســأم الأبــل
حياتي أو تأتي عليّ منيتــــــــي — فكل إمرئ فإن وان نحوه الأمــــل
سأوصي به عمراً وقيساً كليـــــهم — وأوصي يزيد ثم من بعده جبـــــل[1]

وقد قصد حارثة في البيت الشعري الأخير ابنه جبلة أخا زيد الكبير وكان أكبر من زيد وكذلك أخاه الآخر يزيد أخاه من أمه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل[2].وفي موسم الحج انطلق ناس من قبيلة كلب إلى مكة لأداء الحج فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال لهم: ((أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات فإني اعلم أنهم قد جزعوا علي فقال:

احنُ إلى قومي وإن كنت نائــــي — فإني قعيد البيت عند المشـــاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكـم — ولا تعلموا في الأرض نص الأباعـر
فإني بحمد الله في خير أســـرة — كــــرام معـــد كـــابراً بعـــد كابـــــــر[3]

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص87؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص544؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص336؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص598.
(2) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص544؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص336؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص598.
(3) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص544؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص379؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج2، ص336؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص599.

فانطلق الكلبيون إلى أبيه فأخبروا أباه خبر زيد ووصفوا له مكانه وصفته، فقال هو ابني ورب الكعبة. وخرج أبوه حارثة وعمه كعب ابنا شراحيل لفدائه، وقدما مكة فسألا عن النبي (ﷺ) فقيل لهما انه في المسجد، فدخلا عليه وقالا له: ((يا ابن عبدالله أيا ابن عبد المطلب أيا ابن هاشم! يا ابن سيد قومه! انتم أهل الحرم وجيرانه وعند بيته تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئنا في ابننا زيد عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فائه فإنا سنرفع إليك في الفداء ما أحببت، فقال رسول الله (ﷺ) أعطيكم خيراً من ذلك، قالوا ما هو؟! قال: ادعوه فخيروه؟! فأن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وان اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً. قالا قد زدتنا على النصف وأحسنت!! فدعاه وقال له: هل تعرف هؤلاء؟! قال: نعم! قال: من هما؟ قال: هذا أبي وهذا عمي! قال: فأنا ما عملت ورأيت صحبتي لك فاخترني! أو اخترهما!! فقال: ما أنا بالذي اختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والأم، فقالا ويحك يا زيد!! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! قال: نعم! ؟ أني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي اختار عليه أبدا))[1]، فلما رأى ذلك النبي (ﷺ) أخرجه إلى الحجر وقيل وقف على صخرة أمام الكعبة فقال: ((يا من حضر أشهدوا أن زيدا أبني يرثني وأرثه)) فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا[2]. وبهذا التبني الصريح أمام أهل قريش جميعاً أخذ الناس منذ ذلك الحين يدعونه بزيد بن محمد وكانت هذه الواقعة قبل البعثة النبوية[3].

(1) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص545؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص380؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج2، ص337؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص599.

(2) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص545؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص381؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص337؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص599.

(3) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص545؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص599.

وبانبثاق نور النبوة أسلم زيد بن حارثة وكان إسلام ه بعد إسلام خديجة بنت خويلد وعلي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) (1) وقيل أنه أول من اسلم من الموالي(2) وقد أثبت السيوطي أولية إسلام ه فقال: ((أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن النساء خديجة ومن العبيد بلال ومن الموالي زيد بن حارثة (رضي الله عنه)))(3)وظل ملتحقاً بأبوته بالنبي (ﷺ) حتى نزل قوله تعالى: چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ۂۃ ۄ ۅ ۆ ۇ ۈ ۉ ۊ ۋ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چعند ذلك دعي زيد بزيد بن حارثة(4). فنزلت الآيات في نفي ان يكون الأدعياء أبناء لمن ادعاهم في الحقيقة ثم أمر الله برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة فهذا من العدل والقسط والبر، ولم يجعل الله تعالى عدم معرفتهم لآبائهم الحقيقيين مبرراً لإبقاء تبنيهم لهم، بل حرم التبني في هذه الحالة، وأخبر أنهم حينئذ إخوانهم، ومواليهم كما جاء في الآيات السابقة(5).

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص87؛ أبو بكر احمد بن الحسين البهقي: دلائل النبوة، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ، ط1، ج2، ص165؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص546؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص337.

(2) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص546؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص381؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص220.

(3) جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1371هـ– 1952م، ط1، ج1، ص34.

(4) سورة الأحزاب: آية (5)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص88؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص543؛ أبو ربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، 1417هـ، ط1، ج1، ص213.

(5) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1405هـ، ج21، ص119– 121؛ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن المعرفة، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ج3، ص506– 507؛ أبو عبدالله بن محمد الأنصاري القرطبي: الجامع ، دار الشعب، القاهرة، 1383هـ، ج14،

وأكدت التفاسير على قوله تعالى انه إن لم تعرفوا آباءهم، فليس بينكم وبينهم إلا الأخوة في الدين والمولاة وذلك عوضاً عما فاتهم من النسب، فيقال: مولى فلان ومولى بني فلان[1]. وروى البخاري ومسلم وغيرها عن ابن عمر (ﷺ) أن زيد بن حارثة مولى الرسول (ﷺ) ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل قوله تعالى: ((ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ)) فقال النبي (ﷺ) أنت زيد بن حارثة بن شراحيل[2]، ودعى الأدعياء إلى آبائهم أيضاً في مكة فدعي المقداد بن عمرو وكان يقال له قبل ذلك المقداد بن الأسود لأن الأسود بن عبد يغوث كان قد تبناه[3].

وظهرت الإخوة في الدين والموالاة وأصبح لها أهمية كبيرة فهي ثابتة حتى للذين عرف آباؤهم، ولهذا قال النبي (ﷺ) لزيد: ((أنت أخونا ومولانا))[4]، أي أخونا في الإسلام والولاية كما قال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ[5].

وجاءت نصوص أخرى تعالج هذا الأمر من جهة أخرى هي جهة الابن، فجاء تحريم الانتساب إلى غير الأب الحقيقي والمنتسب يعلم ذلك تحريماً قاطعاً لا

ص187- 188؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، 1401هـ، ج3، ص468.

(1) الطبري: جامع البيان، ج21، ص119- 120؛ البغوي: تفسير البغوي، ج3، ص507؛ القرطبي: الجامع، ج14، ص188؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص468.

(2) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص545؛ ابن حجر: الإصابة ، ج3، ص14.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص168- 169؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص545.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص43؛ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ- 1987م، ط3، ج2، ص960، رقم الحديث (2552)؛ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ- 1990م، ط1، ج3، ص130، رقم الحديث (4614)؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص338.

(5) سورة الحجرات، آية (10)؛ الطبري: جامع البيان، ج26، ص130؛ البغوي: تفسير البغوي، ج4، ص213؛ القرطبي: الجامع، ج8، ص294.

شبه فيه[1]، قال الرسول (ﷺ) : ((من أدعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلا))[2]، وقد جعل الشارع لنشوء النسب سبباً واضحاً هو الاتصال بالمرأة عن طريق الزواج أو ملك اليمين، وأبطل ما كان يجري عليه أهل الجاهلية من إلحاق الأولاد عن طريق العهر والزنى، فقال الرسول (ﷺ): ((الولد للفراش، وللعاهر الحجر))[3]، ومعناه أن من يجيء من الأولاد لفراش صحيح قائم على عقد الزواج، أو ملك اليمين يلتحق نسبه بأبيه، وان العهر والزنى لا يصلح أن يكون سبباً للنسب، وإنما يكون سبباً لشيء آخر هو الرجم، والحجارة، ثم أن الله تعالى بعد أن منع، وحرم دعوة الابن بنسبته إلى من تبناه، وأمر بدعوته منسوباً إلى أبيه الحقيقي أن عرف أو إلى الأخوة في الدين والمولاة، بعد ذلك بين حكم من أخطأ أو تعمد مخالفة هذا التشريع الإلهي فقال تعالى : ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[4].

---

(1) حفصة بنت عثمان الخليفي: قضايا نساء النبي والمؤمنات، دار المسلم، 1418هـ- 1997م، ط1، ص189؛ علي محمد محمد الصلابي: السيرة النبوية، دار ابن كثير، بيروت، 1425هـ- 2004م، ط1، ص307.

(2) البخاري: صحيح البخاري، ج6، ص2662، رقم الحديث (6870)؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج2، ص998، رقم الحديث (1370)؛ البيهقي: سنن البيهقي الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ- 1994م، ج5، ص196، رقم الحديث (9731).

(3) البخاري: صحيح البخاري، ج2، ص724، رقم الحديث (1948)؛ مسلم: صحيح مسلم، ج2، ص1080- 1081، رقم الحديث (1457- 1458)؛ الحاكم: المستدرك، ج3، ص731، رقم الحديث (6651)؛ البيهقي: السنن، ج7، ص157.

(4) سورة الأحزاب: آية (5)؛ البغوي: تفسير البغوي، ج3، ص507؛ القرطبي: الجامع، ج8، ص188؛ سعاد الصالح: علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلام ية، مطبعة تهامة، جدة، 1401هـ، ط1، ص52- 53.

4- زواج زيد من زينب:

بعد أن أخرج النبي (ﷺ) زيد من التبني ممتثلاً للأمر الإلهي، تألم قلب زيد لهذا النبأ وانخلع منه فؤاده وإن كان قد قبل الأمر الإلهي راضياً مطمئناً، ولكنه شعر بالوحشة، وأحس بالغربة، إذ كان ينتسب إلى أكرم مخلوق وأحسب العرب وأعلاهم نسباً، وإذا به يؤمر بأن يعود إلى نسبه الأول فما كان محمداً أبا أحد من الرجال ولكنه رسول الله وخاتم النبيين[1].

وعلم النبي (ﷺ) بحالة زيد النفسية وهو مولاه المخلص والأمين والوفي فالتفت إليه وأحس انه بحاجة إلى زوجة فأمره بخطبة بنت عمته زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب[2]، إلا أن زينب رفضت فقالت: ((لست بناكحته، فقال رسول الله (ﷺ): بلى فانكحيه قالت يا رسول الله أومر في نفسي))[3]، وقد كان رفض زينب تبعاً للتقاليد السائدة في تلك الأيام والاستنكاف الحرة بالزواج من العبد المعتق، وخاصة أن زينب كانت من عائلة ذات حسب وشأن، وأثناء حديث زينب مع النبي (ﷺ) نزل قول الله تعالى: **چ ٱ ب ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ چ**[4]، فقالت

(1) سورة الأحزاب: آية (39)؛ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1415هـ- 1995م، ج7، ص108.

(2) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج4، ص1849- 1850؛ ابن الأثير : اسد الغابة، ج7، ص138- 139؛ ابن حجر: الإصابة ، ج7، ص667- 669.

(3) الطبري: جامع البيان، ج22، ص11؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص490؛ السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر محمد أمين دمج، لبنان، بيروت، ج5، ص609.

(4) سورة الأحزاب: آية (36).

زينب: ((يا رسول الله قد رضيته لي زوجاً؟ قال: نعم، قالت: لا أعصي رسول الله (ﷺ) وقد زوجته نفسي))[1].

وبذلك تم الزواج برضى زينب ونزولاً عند رغبة الرسول (ﷺ) وخضوعاً لحكم الله تعالى[2] فتروجها زيد: ((وأصدقها في هذا الزواج عشرة دنانير، وستين درهماً، وخماراً، وملحفة ودرعاً وخمسين مداً من طعام، وعشرة أمداد من تمر))[3].

وهكذا زوج النبي (ﷺ) زيد بن الحارثة لابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية الشريفة الحسيبة فجبر خاطره وساواه بأشراف الرجال وأسماهم قدراً ، وعلم الناس بذلك الحدث أن الكفاءة إنما هي في الدين والتقوى لا بالأحساب والأنساب فقال تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ[4].

وبهذا الزواج تحطمت فوارق الطبقات الموروثة، وكسرت العادات والتقاليد الخاطئة التي تمنع زواج العبيد المعتقين من بنات العوائل المعروفة، فتحققت المساواة بصورة عملية بين أفراد المجتمع الإسلامي ، وأن صلة الإسلام فوق كل صلة تساوي بين الناس كافة فلا تمايز بعد اليوم.

وبعد ذلك تأثرت العلاقة الزوجية بين زينب وزيد، فجاء زيد مرة بعد مرة يشكو النبي (ﷺ) اضطراب حياته مع زينب وعدم استطاعته المضي معها وتردد النبي (ﷺ) في مسألة انفصاله عنها بالطلاق فكان يقول لزيد: ((أمسك عليك زوجك

---

(1) الطبري: جامع البيان، ج22، ص11؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص490؛ السيوطي: الدر المنثور، ج5، ص609.

(2) سورة الأحزاب، آية (36- 37)؛ الصلابي: السيرة النبوية، ج2، ص304- 305؛ صادق الجميلي: تاريخ شخصية مائة صحابي وصحابية، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، 1430هـ- 2009م، ج1، ص250- 251.

(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص492؛ الصلابي: السيرة النبوية، ج2، ص305.

(4) سورة الحجرات: آية (13).

واتق الله))[1]. وعن عائشة(رضي الله عنها)، قالت: ((لو كان محمد (ﷺ) كاتماً شيئاً مما انزل الله عليه لكتم هذه الآية: **ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ**[2]. ويؤخر بهذا مواجهة هذا الأمر .

ويقول المفسرون في تفسير هذه الآية: أي انعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق، والإرشاد والتعلم، حين جاءك مشاوراً في فراقها، فقلت له ناصحاً له ومخبراً بمصلحته ومقدماً لها على رغبتك أمسك عليك زوجك ولا تفارقها، وأصبر على ما جاءك منها، واتق الله في أمورك عامة وفي أمر زوجك خاصة فإن التقوى تحث على الصبر، وتأمر به وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، والذي أخفاه هنا انه لو طلقها زيد لتزوجها النبي (ﷺ) [3].

وقيل أن الذي أخفاه النبي (ﷺ) في نفسه وهو يعلم ان الله مبديه، هو ما أعلمه الله به انه سيفعله، ولم يكن أمرا صريحاً من الله، وإلا ما تردد فيه ولا أخره، ولا حاول تأجيله، ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه، حتى أذن الله بكونه فطلق زيد زوجته زينب في النهاية، ولم يفكر هو ولا هي بما

---

(1) سورة الأحزاب: آية (37)؛ البخاري: صحيح البخاري، ج6، ص2699، رقم الحديث (6984)؛ مسلم: صحيح مسلم، ج1، ص160، رقم الحديث (177)؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج3، ص465- 466؛ ابن حجر: الإصابة ، ج7، ص668.

(2) **الأحزاب**:٣٧، البخاري: صحيح البخاري، ج6، ص2699، رقم الحديث (6984)؛ مسلم: صحيح مسلم، ج1، ص160، رقم الحديث (177)؛ محمد بن عمر الحضرمي الشافعي: حدائق النوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار الحاوي، بيروت، 1998م، ط1، ج1، ص319.

(3) الطبري: جامع البيان، ج22، ص12- 13؛ البغوي: تفسير البغوي، ج3، ص531؛ القرطبي: الجامع، ج14، ص188- 189؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص78.

سيكون بعدها لأن العرف السائد كان يعد زينب مطلقة لأبن محمد وهي لا تحل له حتى بعد إبطال عادة التبني في ذاتها[1].

فأمر الله نبيه (ﷺ) بالزواج من زوجة ابنه بالتبني وهو لقلع هذا المفهوم الخاطئ من أذهانهم وبوحي من رب السماء ولحكمة أرادها الله فجاء في قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[2].

فكان من أهم أهداف هذا الزواج الرباني هو كسر العادات والتقاليد الخاطئة التي تمنع الزواج من زوجة الابن من التبني، رغم كونه ابناً اعتبارياً لا غير، فمثل زواج النبي (ﷺ) بالسيدة زينب إلغاءً عملياً وليس إلغاءً ذهنياً فحسب لظاهرة التبني[3].

ويقف المفسرون في تفسير قوله تعالى زوجنكها على المقصود منها أن هذا الزواج كان بأمر الله تعالى لما ذكر فيه من حكمة التشريع ولم يكن برغبة النبي (ﷺ) ولا بميله كما يروج الجهال وأعداء الإسلام ، ثم قوله تعالى: ((ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ)) وفيه تصريح واضح بعلة تزوج النبي (ﷺ)

---

(1) السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص292؛ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الارناؤوط وعبدالقادر الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنارة الإسلامية، بيروت، 1407هـ- 1986م، ط14، ج1، ص109؛ الشافعي: حدائق الأنوار، ج1، ص319.

(2) سورة الأحزاب: آية (37).

(3) الخليفي: قضايا نساء النبي، ص312؛ صالح احمد الشامي: من معين السيرة، المكتب الإسلام ي، 1413هـ- 1992م، ط2، ص311.

بها أي لأجل أن لا يجد أحد من المؤمنين في نفسه أدنى ضيق في صدره ولا مبالاة بلوم في التزوج بنساء ادعيائهم بالتبني[1].

فقد كانت عادة التبني متركزة في نفوس العرب قبل الإسلام وقد أخذت أبعادها مع مرور الزمن وان الشرع أراد تأكيد نظام التبني وإبطال كل نتائجه، وتعميق هذا الإبطال في النفوس وتأكيده بالتطبيق العملي والقدوة والتأسي بمن يقتدي في تطبيق هذه الأحكام الجديدة الناسخة وهذا ما فعله الرسول (ﷺ) بزواجه بزينب بأمر الله تعالى[2].

فعند انقضاء عدة زينب (رضي الله عنها) جاء أمر الله فدخل عليها النبي (ﷺ) وأصدقها أربعمائة درهم، وكان زواجه (ﷺ) بزينب في السنة الخامسة للهجرة وذُكِر انه تزوجها بعد بني قريظة[3]، وأولم النبي (ﷺ) في عرس زينب وليمة كبيرة، فأولم بشاة فعن أنس (ﷺ) انه قال: ((ما رأيت رسول الله (ﷺ) أولم على امرأة من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة))[4].

وهكذا تزوج النبي (ﷺ) زينب بنت جحش (رضي الله عنها) وهي بنت خمس وثلاثين وماتت سنة عشرين للهجرة/640م وهي بنت خمسين[5]. وبهذا نالت زينب شرف عظيم ما بعده شرف فكانت زينب تفخر على سائر نساء النبي (ﷺ)

---

(1) الطبري: جامع البيان، ج22، ص12؛ البغوي: تفسير البغوي، ج3، ص532؛ القرطبي: الجامع، ج14، ص193؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص472.

(2) الطبري: جامع البيان، ج22، ص14؛ البغوي: تفسير البغوي، ج3، ص532- 533؛ القرطبي: الجامع، ج14، ص193- 194؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص492.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص58؛ ابن سعد: الطبقات، ج8، ص218؛ ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج4، ص145.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص103؛ البخاري: صحيح البخاري، ج5، ص1983، رقم الحديث (4873)؛ مسلم: صحيح مسلم، ج2، ص1048، رقم الحديث (1428)؛ البغوي: تفسير البغوي، ج3، ص533.

(5) ابن حجر: الإصابة ، ج7، ص669.

وتقول:((زوجكن أهاليكن وزوجني الله عز وجل من فوق سبع سماوات))[1]. وفي رواية أخرى كانت تفخر على نساء النبي ﷺ وكانت تقول ان الله انكحني في السماء[2].

المبحث الثاني

1- مواقفه مع النبي (ﷺ):

سعى النبي (ﷺ) بعد أن تزوج من زينب أن لا يبقى زيد بن حارثة وحيداً أو أراد أن يعوضه عن زينب بزوجة لاتقل عنها شرفاً ونسباً فزوجه بالصحابية الجليلة أم كلثوم بنت عقبة وهي أول مهاجرة بعد الرسول (ﷺ) وقد ولدت له زيد ورقية وقيل أنه طلقها[3]، وكان قد زوجه النبي (ﷺ) قبلها مولاته وحاضنته بركة أم ايمن فولدت له أُسامة [4]. وقيل كان له من الولد زيد وهلك وهو صغير ورقية وأمها أم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط، أما أُسامة فأمه هي أم ايمن بركة حاضنة النبي (ﷺ) [5].

ويعد زيد بن حارثة صاحب مواقف عظيمة ومشرفة مع النبي (ﷺ) فقد ذكرت المصادر التاريخية أن النبي (ﷺ) عندما رحل إلى الطائف مع علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه)، كان برفقتهم زيد ابن حارثة وتحمل ما تحمل من أذى من أهل

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج8، ص103؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج4، ص 1850؛ ابن حجر: الإصابة ، ج7، ص667؛ الشافعي: حدائق الانوار، ج1، ص318.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص43؛ القرطبي: الجامع، ج14، ص193؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج1، ص108.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص45؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج4، ص1953-1954؛ ابن حجر: الإصابة ، ج8، ص291.

(4) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص546؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج1، ص150؛ السهيلي: الروض الأنف، ج4، ص92؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج1، ص83.

(5) ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص382؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص337.

الطائف عندما ضيق أهلها على النبي (ﷺ) ورموه بالحجارة وأدموا قدماه الشريفتين فكان زيد يقي النبي(ﷺ) بنفسه حتى شج في رأسه[1].

ومن الجدير بالذكر أن النبي (ﷺ) كان قد آخى بين زيد بن حارثة وعمه حمزة بن عبد المطلب في المدينة أثناء المؤاخاة[2]. وقيل انه آخاه مع أسيد بن حضير [3].

ومن المواقف الكبيرة التي مر بها زيد بن حارثة مع النبي (ﷺ) والتي يبرز فيها حب النبي (ﷺ) لزيد انه عندما حاول بعض المنافقين والحاسدين لمكانة زيد عند النبي (ﷺ) التشكيك بنسب ابنه أُسامة فقد كان زيد أسمر شديد الأدمة أسوداً وأُسامة بن زيد ابنه كان ابيض فقال البعض أن زيد ليس لأُسامة في شيء فهذا ابيض وهذا اسود[4]، الأمر الذي أزعج النبي (ﷺ) بداية الأمر إلا أن الله سبحانه وتعالى أظهر الحق على يدي القاف مجززاً المدلجي فعن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: ((إن رسول الله (ﷺ) دخل عليّ ذات يوم مسروراً وتبرق أسارير وجهه فقال: ياعائشة الم تري أن مجزز المدلجي دخل عليّ وعندي أُسامة بن زيد فرأى أُسامة بن زيد وزيد وعليهما قطيفةٍ وقد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما فقال

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1، ص211– 212؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص38.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، ج3، ص36؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص339؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص338؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

(3) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج1، ص93.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص44؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص381؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج5، ص67؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج2، ص494؛ سير أعلام النبلاء، ج8، ص222.

هذه الأقدام بعضها من بعض))[1]. واضافة أبو داود قائلاً أن أُسامة كان ابيض وزيد اسود[2] الأمر الذي افرح النبي (ﷺ) وأدخل السرور على قلبه ويُذكر أن النبي (ﷺ) فرح لكونه وجد من أمته من يميز أنسابها عند اشتباهها[3].

وكان النبي يحب زيداً حباً جماً ويثق به بشكل كبير ويسند له مهام كبيرة فكان يستخلفه على المدينة في أسفار وغزوات عديدة له، فاستخلافه في المكان الذي يتركه النبي (ﷺ) إنما يدل على استئمانه على الناس[4]، فعن الحسن بن أُسامة بن زيد انه قال: ((كان النبي (ﷺ) أكبر من زيد بعشر سنين))[5]، وقيل انه أكبر منه بعشرين سنة[6].

2- جهاده:

منذ أن أذن الله تعالى بالقتال ضد المشركين ساهم زيد بن حارثة بدور فعال في مسيرته الجهادية مع النبي (ﷺ) الذي كان يثق به وبقدراته القتالية وإمارته على سرايا وجيوش المسلمين فقد استخلفه النبي (ﷺ) على المدينة مرات عدة أثناء خروجه إلى الجهاد كما ذكرنا ذلك أنفاً.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص1304، رقم الحديث (3362)؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج1، ص198؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج5، ص67؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص312؛ ابن حجر: الإصابة ، ج5، ص775.

(2) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الازدي: السنن، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د. ت)، ج2، ص280، رقم الحديث (2267- 3368).

(3) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج4، ص1461؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص312؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج5، ص418؛ ابن حجر: الإصابة ، ج5، ص775.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص220.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص222؛ تاريخ الإسلام ، ج2، ص494.

(6) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص543.

فاستخلفه النبي (ﷺ) على المدينة المنورة في غزوة بدر الأولى (سفوان) في سنة 2هـ/623م ودام استخلافه عدة أيام[1]. كما استخلفه على المدينة المنورة أيضاً في غزوة بنو المصطلق (المريسيع) في سنة 5 هـ/626م وقد دام استخلاف زيد قرابة شهر[2]، وكان هو البشير إلى المدينة المنورة بنصر المسلمين في بدر الكبرى[3]، كما حمل زيد بن حارثة لواء الرسول ﷺ في غزوة الأحزاب (الخندق) في سنة 5هـ/626م[4] وقد أنجز زيد كل المهام التي أوكلت إليه بنجاح كبير وكانت تبشر بقدوم قائد ميداني ذو شأن ويحقق لجيوش المسلمين انتصارات عظيمة على المشركين وقد كان زيد من الرماة المعروفين والمعدودين من الصحابة الذين امتازوا بمهارة عالية[5].

وخرج زيد بن حارثة أميرا لسبع سرايا بأمر من النبي (ﷺ) [6] فعن عائشة(رضي الله عنها) إنها قالت: ((ما بعث رسول الله زيداً في جيش قط إلا أمره

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج3، ص146؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج3، ص16؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص166.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص63؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص46؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص257.

(3) محمد بن يسار بن إسحاق: سيرة ابن إسحاق (المسمى بكتاب المبتدأ والمنبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميدالله، معهد الدراسات والأبحاث، الرياض، (د. ت)، ج3، ص297؛ ابن سعد: الطبقات، ج2، ص19؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج3، ص187؛ السهيلي: الروض الأنف، ج3، ص183.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص67.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص45.

(6) ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص19- 32؛ ابن سعد: الطبقات، ج3، ص45؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج5، ص457- 467؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص226؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص382؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

عليهم ولو بقي بعده استخلفه))[1]، وفي هذا الحديث دلالة واضحة على مكانة زيد عند النبي (ﷺ) ليس كحبيب وصاحب ورفيق بل كقائد كبير يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في توجيه حركة الجهاد ضد المشركين.

وأول هذه السرايا التي خرج فيها زيد بن حارثة أميراً هي سرية القردة، وكانت في جمادي الآخرة في سنة 30هـ/650م، والقردة هي أرض في نجد بين منطقة الربذة والعمرة[2]، وقيل أن القردة هي ماء من مياه نجد بين المدينة والشام[3]، فقد بعثه الرسول (ﷺ) ليعترض عير لقريش فيها صفوان بن أمية[4] وحويطب بن عبدالعزى[5] وعبدالله بن أبي ربيعة[6] ومعه مال كثير وذهب وفضة وقيل وزن ثلاثين ألف درهم وكان دليلهم فرات بن حيان العجلي، فخرج بهم على ذات عرق وهو طريق نحو العراق فبلغ رسول الله (ﷺ) أمرهم فوجه زيد بن الحارثة

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ج2، ص253؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص338؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص228؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص255؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

(2) ابن إسحاق: سيرة ابن إسحاق، ج3، ص296؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص36؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص54؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

(3) ابن إسحاق: سيرة ابن إسحاق، ج3، ص296؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص36؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص38؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج3، ص170- 171.

(4) صفوان ابن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي ويكنى أبا وهب، ولد في جمح واسلم بعد الفتح. ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص721؛ ابن حجر: الإصابة ، ج3، ص432.

(5) حويطب بن عبدالعزى بن أبي قيس بن عبد ود القرشي العامري وكان ممن اسلموا في الفتح واحد المؤلفة قلوبهم وأدرك الإسلام وهو ابن ستين سنة. ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج1، ص399؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص143.

(6) عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي يكنى أبو عبدالرحمن وكان اسمه في الجاهلية بجبيراً فسماه النبي ﷺ عبدالله واسلم يوم فتح مكة. ابن عبدالبر: الاستيعاب، ةج3، ص896؛ ابن حجر: الإصابة ، ج4، ص197.

في مائة راكب فاعترضوها فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم وقدم المغيرين بالعير على النبي (ﷺ) فخمسها فبلغ الخمس فيه عشرين ألف درهم وقسم ما بقي على أهل السرية وأسر فرات بن حيان واسلم بعدها[1].

أما السرية الثانية فكانت سرية زيد إلى الجموم في ربيع الآخر سنة 6 هـ/627م وهي منطقة شمال مكة وفيها بنو سليم[2] فأصاب زيد امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على مكان فأصابوا مواشي وأسرى منهم زوجها فوهبها النبي (ﷺ) نفسها وزوجها[3].

أما السرية الثالثة فكانت متوجه إلى العيص وهو وادي لقبيلة جهينة بين المدينة والبحر، وبين وادي العيص والمدينة المنورة أربعة ليالي[4]. وقيل انه بلغ الرسول (ﷺ) أن عير لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرض لها فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وناساً ممن كان في العير ومنهم أبو العاص بن الربيع[5] وقدم بهم إلى المدينة

---

(1) ابن إسحاق: سيرة ابن إسحاق، ج3، ص296؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج3، ص317؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص36؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص55؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص5.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص86؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص 84؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص281؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص86؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص126؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص 84؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص281.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص87؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص126؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص 84؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص281.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص87؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص281.

فاستجار أبو العاص بزينب بنت الرسول (ﷺ) فأجارته وكانت هذه السرية في شهر جمادى الأولى سنة 6 هـ/627م[1].

أما السرية الرابعة فكانت متوجهة إلى الطرف في جمادي الآخرة سنة 6 هـ/627م والطرف هو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميل من المدينة طريق البقرة على المحجة فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نعماً وشاة وهربت الأعراب وعاد زيد إلى المدينة ومعه عشرون بعيراً وقد غاب أربعة ليالي فقط في هذه السرية ولم يلقَ كيداً من أحد فيها[2].

وجاءت السرية الخامسة متوجه إلى وادي القرى في شهر رجب سنة 6هـ/627م ووادي القرى هو وادي بين المدينة والشام من أعمال المدينة وبني تيماء وخيبر وفيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى[3].

وذكر أن سبب الغزوة أن الرسول (ﷺ) بعث زيد بن حارثة في اثني عشر رجلاً إلى وادي القرى لاستكشاف حركات العدو هناك فهجم عليهم سكان وادي القرى من بني فزارة، فقتلوا تسعة، ونجا ثلاثة منهم زيد بن حارثة[4].

فقدم زيد على الرسول (ﷺ) فأخبره بالأمر فبعثه إليهم ليغزوهم ونفذ زيد أمر النبي (ﷺ) فغزاهم وسبى الذرارى[1]، ويذكر أن زيد بن حارثة لما قدم المدينة

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص87؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص44؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج3، ص 281؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص281؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص178.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص87؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص126؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص 84؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص281؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص300.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص89؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص127؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج5، ص 467؛ أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1399هـ، ج5، ص345.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص27؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص90.

مع أهل السرية اقبل إلى الرسول (ﷺ) فقالت عائشة (رضي الله عنها): ((ورسول الله (ﷺ) تلك الليلة في بيتي، فقرع الباب، فخرج إليه يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله رسول الله (ﷺ)))[2].

أما السرية السادسة فكانت سرية زيد بن حارثة (رضي الله عنه) إلى حسمى (جذام) وحسمى موضع باليمن وهو لقبيلة جذام[3] وقيل أنه ماء في اليمن[4]. فقد أرسل النبي (رضي الله عنه) زيد إلى حسمى من ارض جذام على اثر الاعتداء الذي قام به كل من الهنيد بن عوص وابنه العوص[5] على سفير الرسول (ﷺ) دحية بن خليفة الكلبي[6] إلى هرقل وأخذا كل شيء كان معه فلما عاد الأخير إلى النبي (ﷺ) وأخبره الخبر بعث النبي (ﷺ) زيد بن حارثة إليهم[7] وكانت في جمادي الآخرة سنة 6هـ/627م[1]

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص27؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص90؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص127.

(2) أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي: كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، 1404هـ، ط1، ج2، ص564؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص90؛ أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1402هـ، ط3، ج2، ص 144- 145؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص226.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص88؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص 84؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص284؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص88؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص259.

(5) الهنيد بن العويص الجذامي وأبوه قتلهم زيد بن حارثة في بعث الرسول ﷺ عليهم. ابن حجر: الإصابة ، ج6، ص172.

(6) دحية بن خليفة الكلبي بن فروة بن وبرة في قضاعة وكان من كبار الصحابة لم يشهد بدر وشهد أحداً وباقي الغزوات وهو الذي بعثه الرسول ﷺ إلى قيصر رسولاً سنة 6 هـ/627م. ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج2، ص461؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج2، ص190؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص384- 385.

(7) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج6، ص23؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص88؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص298؛ ابن حجر: الإصابة ، ج6، ص172.

وحققت السرية هدفها فأغاروا عليهم وقتلوا الهنيد وأبنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاة خمسة ألاف شاة، ومن السبي مائة من النساء والصبيان(2).

أما السرية السابعة فكانت سرية زيد إلى مدين، وارض مدين ورد ذكرها في القرآن(3) وهي بلد تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل(4)، ومدين منازل جذام من أهل مدين الذين بُعِثَ إليهم النبي شعيب (عليه السلام) وقيل مدين اسم قبيلة .

ولم تحدد الروايات التي ساقت خبر السرية تاريخاً محدداً لها ولكنه يمكن الاستنباط بأنها كانت قبل غزوة مؤتة بلا شك وذلك في فترة هدنة الحديبية، وهي فترة زاد فيها نشاط السرايا والبعوث النبوية في المنطقة الشمالية لشبه الجزيرة العربية.

فقبل غزوة مؤتة سنة 8 هـ/629م بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) زيد بن حارثة (رضي الله عنه) إلى منطقة مدين، وبالتحديد إلى بلدة مقنى على ساحل البحر الأحمر في سرية لم تذكر المصادر قوتها(5)، فعن عبدالله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين قالت: ((بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زيد بن حارثة إلى مدينة مقنا))(6)، واستطاع زيد (رضي الله عنه) التوغل في تلك المنطقة من قاعدة المسلمين ومناطق نفوذهم ونجح في الإغارة

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص88؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص201– 202؛ ابن حجر: الإصابة ، ج6، ص172.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص88؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص299؛ ابن حجر: الإصابة ، ج6، ص172.

(3) سورة هود: آية (84)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص47– 48.

(4) الحموي: معجم البلدان، ج5، ص77.

(5) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج6، ص48؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص310.

(6) ابن سعد: الطبقات، ج1، ص277؛ أبو عبدالرحمن شعيب بن علي بن بحر النسائي: السنن الكبرى، تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، ط1، ج2، ص248؛ ابن حجر: الإصابة ، ج3، ص494.

عليهم وأصاب منهم سبايا ومنهم ضميرة[1] وأهله وأخوه وأمه وأبوه وجاء بهم إلى رسول الله (ﷺ) الذي اعتقهم وخُيرَ أبو ضميرة في البقاء مع المسلمين او اللحاق بأهله فأختار النبي (ﷺ) والمسلمين ودخل الإسلام [2].

وبهذه النجاحات الكبيرة التي حققها زيد بن حارثة في هذه السرايا السبعة التي أرسله فيها النبي (ﷺ) يتضح لنا ما تنبأ به النبي (ﷺ) لزيد من قدرة عظيمة على القيادة والإمارة على الجيوش والسرايا فكانت رؤيا صادقة فعن ابن عمر ان النبي (ﷺ) عندما أمر أُسامة على قوم فطعن الناس في إمارته قال: ((أن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة))[3].

3- معركة مؤتة:

أرسل الرسول (ﷺ) في السنة الثامنة للهجرة/629م رسلاً إلى ذات الطلح على حدود الشام يدعون للإسلام فما كان جزاؤهم إلا أن قتلوا ولم ينج منهم إلا رئيسهم[4]، وقيل إن سبب غزوة مؤتة المباشر هو أن شرحبيل بن عمرو الغساني الذي أرسله النبي (ﷺ) إلى أمير بُصرى من جهة هرقل وهو الحارث ابن أبي شمر الغساني قد قتله الأخير عندما جاء يدعوه للإسلام [5]. وكان ذلك من جملة كُتبه

(1) ضميرة بن أبي ضميرة، مولى رسول الله ﷺ له ولأبيه صحبة، وهو جد حسين بن عبدالله بن ضميرة بن أبي ضميرة يعد من أهل المدينة. ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص48؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج3، ص65؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص310؛ ابن حجر: الإصابة ، ج3، ص494.

(2) ابن عبدالبر: الاستيعاب، ج4، ص1665؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص318-319؛ ابن حجر: الإصابة ، ج3، ص495- 496.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص88؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص255؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601؛ الشافعي: حدائق الأنوار، ج1، ص382.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص128.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص128؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص381؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج2، ص479؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج2، ص198.

(ﷺ) التي بعث بها إلى ملوك وأمراء العرب بعد صلح الحديبية[1] فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فاشتد عليه الأمر اذ لم يقتل له رسول غيره فصمم على قتال الحارث بن ابي شمر [2].

فندب الرسول (ﷺ) الناس إلى مؤتة فاستجاب له حوالي ثلاثة الآف من الصحابة (رضي الله عنهم) [3] ومؤتة هي قرية من ارض البلقاء بالشام والبلقاء دون دمشق[4]، وقد اختلف في تحديد المكان الذي وقعت فيه المعركة ففي رواية ابن إسحاق قال: ((فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندهما))[5]، وقيل غير ذلك في رواية أخرى[6].

وبعد أن تجهز المسلمين للقتال استجابةً لأمر النبي (ﷺ) وحشدوا حشوداً لم يحشدوها من قبل، إذ بلغ عدد المقاتلين في هذه السرية ثلاث آلاف مقاتل اختار

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص13؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1، ص258؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص128؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج1، ص119؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص378.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص128؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص381؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج2، ص479.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج5، ص22؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص128؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص149؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص205.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج5، ص27؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص128؛ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص220؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص244.

(5) ابن هشام: السيرة النبوية، ج5، ص27؛ أبو عمر خليفة ابن خياط الليثي العصفري: تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1397هـ، ط1، ج1، ص87؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص149– 150.

(6) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص129؛ الشافعي: حدائق الأنوار، ج1، ص72.

النبي ﷺ لقيادتهم ثلاث أمراء على التوالي وهو زيد بن حارثة ثم جعفر بن ابي طالب ثم عبدالله بن رواحة(ﷺ) [1].

فقد روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر (ﷺ) قال: ((أمر رسول الله (ﷺ) في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال: رسول الله (ﷺ) ان قتل زيد فجعفر، وان قتل جعفر فعبدالله بن رواحة))[2]، وأكمل الحديث عند البيهقي: ((فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلاً، فليجعلوه عليهم))[3].

وقد أمر النبي (ﷺ) الجيش أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عميرة الازدي، وان يدعوا المسلمون من كان هناك إلى الإسلام فإن أجابوا فيها ونعمت وان أبوا استعينوا بالله عليهم وقاتلوهم[4]، وأوصى النبي (ﷺ) الجيش وأميره زيد بتقوى الله بقوله: ((أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله وفي سبيل الله من كفر بالله، ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعته ولا تقربوا نخلاً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء وإذا لقيتم

(1) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج5، ص22؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص128؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 149 البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص359- 361؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص393.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص128؛ البخاري: صحيح البخاري، ج4، ص1554، رقم الحديث (4013)؛ احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1379هـ، ج2، ص65؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 149 .

(3) البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص362.

(4) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص381؛ بريك بن محمد بريك: غزوة مؤتة، الجامعة الإسلام ية المدينة المنورة، 1424هـ، ط1، ص209- 260؛ علي بن برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، (د. ت)، ج2، ص787؛ الصلابي: السيرة النبوية، ج2، ص461.

عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: فإما الإسلام ، وأما الجزية، وأما الحرب))[1].

سار المسلمون حتى نزلوا معان وهي قرية من أرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل قرب ارض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه مائة ألف أخرى من القبائل العربية الموالية له من نصارى العرب من قبائل لخم وجذام وغيرها من القبائل فاجتمع لهرقل مائتي الف مقاتل فعقد المسلمون مجلساً للتشاور فقال بعضهم نكتب للنبي (ﷺ) نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، واما ان يأمرنا بأمره فنمضي له، وقال آخرون لزيد بن حارثة قائد الجيش: ((قد وطئت البلاد واخفت أهلها، فانصرف فانه لا يعدل العافية شيء))[2]. وقال عبدالله بن رواحة (رضي الله عنه) بعد أن سأله زيد عن رأيه فقال: ((إنا لم نسر إلى هذه البلاد ونحن نريد الغنائم، ولكنا خرجنا نريد لقاءهم، ولسنا نقاتلهم بعدد ولاعدة، فالرأي المسير إليهم))[3].

فشجع الصحابي عبدالله بن رواحة الناس وقال: ((ياقوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة وكثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، أما ظهور،

(1) الواقدي: المغازي، ج2، ص757– 758؛ أبو السعدات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، طبع المكتبة العلمية، بيروت، (د. ت)، ج3، ص385.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج5، ص24؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص129؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 149 البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص360؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص206؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص242.

(3) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 149؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص243.

وأما شهادة قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس))[1]. وقَبلَ زيد رأيه وسار إليهم.

وتحرك المسلمون نحو جيوش الروم وحلفائهم من القبائل العربية، فحصل التماس الأول في تخوم البلقاء ولقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية يقال لها مشارف[2]. فدنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة وتسمى اليوم بالكرك[3] وهي انسب مكان للمعركة من وجهة نظر المسلمين وذلك لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها، نظر لقلة قوتهم بالنسبة إلى قوة عدوهم[4]. فما من شك أن قوة العدو كانت أضخم كثيراً من قوة الجيش الإسلام ي وان التكافؤ بين القوتين كان منعدماً من حيث العدد والعدة[5].

(1) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج5، ص24؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 150؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص360؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص207؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص382.

(2) مشارف: بفتح الميم، وبالشين المعجمة المخففة وهي جمع مشرف وهي إحدى القرى التي تقع قرب حوران منها بصرى الشام وتنسب إليها السيوف وقيل انها قرية تقع قرب تخوم البلقاء التي تجمع بها جموع وجيوش هرقل والروم والعرب لملاقاة جيوش المسلمين في غزوة مؤتة. الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص150؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص244؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص453.

(3) الكرك بفتح أوله وثانيه وهي اسم لقلعة حصينة جداً في أطراف الشام من نواحي البلقاء وقيل أيضاً أنها قرية كبيرة من قرى البلقاء انحاز إليها المسلمون وجعلوها ارض المعركة بينهم وبين جموع الروم وهرقل في غزوة مؤتة، وقيل أن قبر النبي نوح عليه السلام فيها. الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص150؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص244؛ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص131.

(4) علي العتوم: تجربة مؤتة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، 1406هـ، ط1، ص73.

(5) الصلابي: السيرة النبوية، ج2، ص460- 461؛ محمد احمد باشميل: غزوة مؤتة، دار الفكر، بيروت، 1394هـ، ط2، ص260- 264.

وتجهز المسلمون بقيادة زيد بن حارثة ونظموا صفوفهم والتقى الجمعان كما يذكر ابن هشام: ((فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة، يقال له قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار، يقال له: عبادة بن مالك، ثم التقى الناس))[1].

فالتحم الفريقان وحمي الوطيس وبدأ هجوم المسلمين باندفاع قائدهم زيد بن حارثة (رضي الله عنه) بلواء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحو صفوف العدو، فحارب مستميتاً مستبسلاً حتى مزقته رماح العدو[2] وذلك وفق ما وصفته المصادر: ((حتى شاط في رماح القوم))[3] وأن ذلك الوصف يدل على قوة اندفاع زيد (رضي الله عنه) واستماتته في القتال مع عدم اكتراثه بقوة العدو، وكثافته العددية والعُدُدية وهو أمر يدل على شجاعته وجرأته واستهانته بالموت ما دام ذلك في سبيل الله عز وجل، فاستشهد (رضي الله عنه) استشهاد الأبطال[4].

ثم استلم الراية القائد الثاني جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي انبرى يتصدى لجموع المشركين حتى أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم وهو يقاتلهم قتال الأبطال وبشجاعة نادرة ورباطة جأش عظيمة والضربات تنهال عليه من كل جانب

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج5، ص27؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص150؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص362؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص207؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص244.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية ، ج5، ص27؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص129؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص 150؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص244.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج5، ص27؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص150؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص229؛ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1402هـ- 1982م، ط3، ج6، ص159.

(4) الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص151؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج2، ص546؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص209؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص229.

وتقطعت يمينه وشماله واستشهد ثم اخذ الراية القائد الثالث عبدالله بن رواحة (ﷺ) الذي قاتل قتال بلا هواده وهو يرتجز الشعر واستشهد هو الآخر[1].

وعند استشهاد القائد الثالث لجيش المسلمين عبدالله بن رواحة (ﷺ) اتفق الناس على خالد بن الوليد ليقود الجيش من بعدهم[2]، فأخذ خالد الراية وأصبحت خطته الأساسية هي إنقاذ المسلمين من الهلاك، فبعد دراسة ظروف المعركة دراسة وافية اقتنع الأخير بالانسحاب بأقل خسارة ممكنة أنه هو الحل الأفضل فقوة العدو تبلغ حوالي ستين ضعف قوة المسلمين فوضع خطته للحيلولة بين جيش الروم وجموعهم وجيش المسلمين وضللهم وخدعهم لتحقيق الانسحاب الآمن[3]. ونجم عن خطة خالد بن الوليد (ﷺ) التراجع التكتيكي بالانسحاب المنظم كلياً وبخسارة لم تتعدى الاثني عشر شهيدا في هذه المعركة[4] حتى أن النبي (ﷺ) عد هذه الغزوة انتصاراً كبيراً للمسلمين لما أظهره القائد خالد بن الوليد من حنكة ودراية في أمور القيادة وسماه النبي (ﷺ) سيف الله المسلول[5]، وسمى هذا الجيش الكرار[6].

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج5، ص27؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص129؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص151؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص465.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، ج5، ص30؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص129؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص151؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص366؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص245.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج5، ص33؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص151؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص248.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص306؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص213؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص248- 249؛ الصلابي: السيرة النبوية، ج2، ص466.

(5) البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص1372، رقم الحديث (3547)؛ النسائي: السنن الكبرى، ج5، ص69؛ صالح بن حميد: نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، 1418هـ، ط1، ج1، ص360.

(6) ابن سعد: الطبقات، ج2، ص29؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج2، ص152؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص210؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص249.

وقد علم النبي (ﷺ) بخبر وأحداث المعركة وهو في المدينة بوحي من السماء ونعى الرسول (ﷺ) زيداً وجعفراً وابن رواحة قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: ((اخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم))[1].

وقال النبي (ﷺ) لأصحابه وهو جالس معهم: ((لقد رأيت فيما يرى النائم انهم رفعوا إلى الجنة على سرر من ذهب))[2] وقصد في هذا الحديث الأمر اء الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر ابن ابي طالب وعبدالله بن رواحة[3]، ويذكر ابن الأَثير انه لما أتى رسول الله (ﷺ) خبر مقتل جعفر وزيد بكى وقال: ((إخواني ومؤنساي ومحدثاي))[4]، وهكذا كان إيمان الرجال النصر أو الشهادة في سبيل الله، فمضى زيد بن حارثة حب الرسول (ﷺ) ومولاه شهيداً وهو بعمر الخامسة والخمسين[5] مسطراً أروع أمثلة البطولة والتضحية والفداء.

4- ما ورد في فضله:

نال الصحابي الجليل زيد بن حارثة (رضي الله عنه) شرفاً عظيماً وحاز على مكانة امتاز بها عن آلاف الصحابة في مشارق الأرض ومغاربها كونه الصحابي الوحيد الذي ذكر القرآن الكريم اسمه صريحاً واضحاً ونزلت في حقه أكثر من آية[6]، وفي

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص1372، رقم الحديث (3547)؛ النسائي: السنن الكبرى، ج5، ص69؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص466؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص209؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج4، ص252.

(2) البيهقي: دلائل النبوة، ج4، ص368؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص384.

(3) بريك: غزوة مؤتة، ص310- 350؛ باشميل: غزوة مؤتة، ص253- 263.

(4) ابن الأَثير : اسد الغابة، ج2، ص338.

(5) ابن سعد: الطبقات، ج3، ص46؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص382؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص229.

(6) سورة الاحزاب: آية (5-6) (37)؛ الطبري: جامع البيان، ج21، ص121-122؛ السهيلي: الروض الانف، ج4، ص130؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص382.

ذلك منقبة عظيمة لزيد إذ لم يسمي كتاب الله أحداً من الصحابة فيه، وقد جاء هذا التكريم من الله تعالى لهذا الصحابي كتعويض عن الشرف الكبير والميزة التي كان يتمتع بها كونه أصبح في فترة سابقة ابناً للنبي (ﷺ) بالتبني[1].

فما ناله زيد بن حارثة (ﷺ) لم ينله صحابي او مؤمن غيره، فأصبح اسمه قرآناً يتلى فقال تعالى: ((ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ)) ويقصد الله زينب بنت جحش، وأصبح قرآناً مخلداً لا يبدد ويقرأه أهل الدنيا وأهل الجنة وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبي من الأنبياء فجاء تعويضا من الله تعالى له بسبب ما نزعه منه قبلها.

وجاءت السنة المطهرة لتؤكد على مكانة هذا الصحابي عند النبي (ﷺ) وما ورد في فضله لتدل على امتلاء قلبه حباً لزيد بن حارثة فكان لا يفارقه حتى كان الصحابة يلقبونه بزيد الحب، فعن يزيد بن عبدالله بن قسيط عن محمد بن أُسامة عن أبيه قال: قال رسول الله (ﷺ): ((يا زيد أنت مولاي ومني والي وأحب الناس لي))[2]. فقد حمل زيد دون سواه لقب الحب أي حب النبي(ﷺ).

وبعد استشهاده (ﷺ) في غزوة مؤتة دعا له النبي (ﷺ) فقال: ((اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد، اللهم اغفر لزيد))[3]، وقال له الصحابة: ((يا رسول الله ما رأيناك تبكي شهيداً مثله فقال هو فراق الحبيب لحبيبه))[4]، وقال أيضاً: ((استغفروا لأخيكم قد دخل الجنة وهو يسعى))[5].

---

(1) ابن الأثير : اسدالغابة، ج2، ص338؛ الجميلي: تاريخ شخصية مائة صحابي وصحابية، ج1، ص249- 250.

(2) الحاكم: المستدرك، ج3، ص239، رقم الحديث(4957)؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص226؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص463؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص229.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص463؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص229.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص46؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص229-230.

وعن حماد بن زيد عن خالد بن مسلمة المخزومي قال: ((لما جاء مصاب زيد وأصحابه أتى رسول الله منزله بعد ذلك، فلقيته بنت زيد فأجهشت بالبكاء في وجهه فلما رآها رسول الله بكى حتى انتحب فقيل: ما هذا يا رسول الله قال شوق الحبيب إلى حبيبه))[1].

وقال النبي (ﷺ) لزيد بن حارثة (رضي الله عنه) عندما نزلت الآية الكريمة: ((ادعوهم لآبائهم)) وفيها أمر من الله لنبيه لإخراج زيد من دائرة التبني فقال مواسياً له: ((أنت أخونا ومولانا))[2]، أي أخونا في الإسلام والولاية كما قال الله تعالى: ﴿ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ﴾[3].

وقال النبي (ﷺ) بحقه أيضاً فعن حسين بن واقد بن بريدة عن أبيه أن الرسول (ﷺ) قال: ((دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة فقلت لمن أنت قالت أنا لزيد بن حارثة))[4]، وعن الشعبي عن عائشة (رضي الله عنها) إنها قالت: ((لو إن زيداً كان حياً لاستخلفه رسول الله))[5]، والمقصود هنا استخلافه أثناء خروج النبي (ﷺ) إلى الجهاد، وعن عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) انه قال: ((فرض عمر لأُسامة بن زيد أكثر مما فرض لي فكلمته في ذلك فقال انه كان أحب إلى رسول الله منك، وأباه كان أحب إلى رسول الله من أبيك))[6]، وعند وقوف أُسامة بن زيد (رضي الله عنه) إمام

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3، ص46؛ ابن الجوزي: صفوة الصفوة، ج1، ص382؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص229.

(2) البخاري: صحيح البخاري، ج2، ص960، رقم الحديث (2552)؛ الحاكم: المستدرك، ج3، ص 130، رقم الحديث (4614)؛ البيهقي: السنن، ج8، ص5، رقم الحديث (15546)؛ دلائل النبوة، ج4، ص338؛ ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج3، ص375.

(3) سورة الحجرات: آية (10)؛ الطبري: جامع البيان، ج 26، ص 130.

(4) ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص254؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج2، ص394؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص230.

(5) الحاكم: المستدرك، ج3، ص238؛ الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص229.

(6) الذهبي: سير أَعلام النبلاء، ج1، ص228؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

النبي (ﷺ) تذكر أباه زيد فدمعت عيناه (ﷺ) شوقاً إليه وحنانا وعطفاً به(1)، وعندما أمر النبي (ﷺ) أُسامة بن زيد ليغير على مؤتة سنة أحدى عشر للهجرة/632م بعد قدومه (ﷺ) من حجة الوداع وقبل وفاته عقد اللواء له في جيش ضم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وقال له: ((سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل))(2)، ثم بلغ النبي (ﷺ) أن القوم تكلموا وقالوا: ((يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب رسول الله (ﷺ) غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((قد بلغني إنكم قلتم في أُسامة وان تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للأمارة، وان كان لمن أحب الناس إلي وان هذا لمن أحب الناس إليّ بعده))(3).

وبذلك عاش زيد ملازماً للنبي (ﷺ) حتى كتب الله له الشهادة ونال ما لم يناله صحابي غيره من الفضل والمكانة والرفعة عند الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم.

وختاماً نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في تقديم عمل علمي فيه إضاءة ولو بسيطة على تاريخ وسيرة هذا الصحابي الكبير ليكون أنموذجاً وقدوة لكل رجل مسلم أو مؤمن في يومنا هذا ويخدم هذه الأمة الإسلامية الكريمة ويسعى لما يحبه الله ويرضاه .

---

(1) ابن سعد: الطبقات، ج4، ص63؛ البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص103.، رقم الحديث (2645)؛ البيهقي: السنن، ج4، ص70؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ج1، ص423.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص12؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص190؛ الكلاعي: الاكتفاء، ج2، ص314؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج6، ص65؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص249- 250؛ البخاري: صحيح البخاري، ج3، ص1365، رقم الحديث (3524)؛ مسلم: صحيح مسلم، ج4، ص1884، رقم الحديث (3426)؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج2، ص495؛ ابن حجر: الإصابة ، ج2، ص601.

Zaid Ibn Haritha
(A Historical Study in his Autobiography)

Lect .Dr. Omar Amgad Saleh

Abstract

The first companions biography and life represented a model and a sample of human completion in obeying Allah, Where history did not know men like them characterized by justice and highness. They sacrificed themselves with high encouragement for this life, and one of these companions was Zaid Ibn Haritha, the martyr prince in Mu'tta Raid, the master of Al-Mawali, the first Muslim, the Prophet's beloved, and Allah did not name anyone with his name accept Zaid. The man who was short, brown, snub-nosed, the one who found for himself a place in the Prophet's heart (Peace and blessings be upon him), Allah said*: **(The most honorable of you will Allâh is that (believer) who has Al-Taqwâ)***. Also the Prophet

said: (There is no difference between Arabs and non-Arabs accept with fear of God), where in this brighter religion Bilal, Suhaib, Ammar, Khabab, Usama and Zaid are near to Allah in the highest Paradise.